د/ سليمان العطار

(الأبيات للحلاج) (قصيدة) تصوف إسلامي

(١) لبيك لبيك يا سري ونجواي | لبيك لبيك يا قصدي ومعناي
(٢) أدعوك بل أنت تدعوني إليك فهل | ناديت إياك أم ناجيت إياي
(٣) يا عين عين وجودي يا مدى هممي | يا منطقي وعباراتي وإيمائي
(٤) يا كل كلي ويا سمعي ويا بصري | يا جملتي وتباعيضي وأجزائي
(٥) يا كل كلي وكل الكل ملتبس | وكل كلك ملبوس بمعناي
(٦) يا من به علقت روحي فقد تلفت | وجداً فصرت رهيناً تحت أهوائي
(٧) أبكي على شجني من فرقتي وطني | وحيداً فصرت مريضاً تحت أهوائي
(٨) أدنو فيبعدني خوفي فيقلقني | شوق تمكن في مكنون أحشائي
(٩) فكيف أصنع في حب كلفت به | مولاي قد مل من سقمي أطبائي
(١٠) قالوا تداو به منه فقلت لهم | يا قوم هل يتداوى الداء بالداء

بداية القصيدة *
لكن قبل أن نحلل القصيدة لابد أن نوضح نبذة عن الحلاج :-
اشتهرت في سيرة عمر الحلاج ثورة شديدة أطلقت عليها ثورة القرامطة (في القرن الثالث الهجري) وهي ثورة ضد حزب الدولة هزت شديد وكادت أن تسقط الدولة العباسية ويعتبر الحلاج رمزاً للنشوء الحرية ورعيماً لهم عوضت في سبيل مبدأ دخ بلاد الرافدين تحول إلى شخصية مقدسة تشتبه الله عز وجل وقد نسب إلى الحلاج مبدأ الحلول والتناسخ ولكن الحلاج ليس له علاقة بمبدأ الحلول يعني أن الله يحل في جسم الإنسان ولكن الحلاج برئ من ذلك.
ومن أهم مؤلفات الحلاج كتاب عالم السياسة وهذا الكتاب نقده علماء وأدت إلى قتل الحلاج لأن كتبه في السياسة هاجمت وعريت الخلل السياسي أمام السلطة المطلقة للحكام.
ثم نبدأ في القصيدة :-
من الملاحظ أن الحلاج بدأ في القصيدة في البيت الأول بالتلبية لبيك وهو هنا يخاطب الله عز وجل فيقول :-

٢) أدعوك بل أنت تدعوني إليك فهل
ناديت إياك أم ناديت إياي
وهنا الشاعر يحاول أن يخلق نوعاً من الموسيقى الجميلة الجاذبة من الاستعمال العادي إلى الاستعمال الموسيقي الذي يثير الحيرة والتساؤل شيئاً ومن الملاحظ أن استعماله للفظ (إياي) و(إياك) من المفترض أن يقول (إياي) وهي ليست (؟) بالنسبة لطفل لم يعرف اللغة جيداً وهذا يؤدي إلى الحيرة والتفكير.

يا عين عيني وقلبي يا مدى همي يا منتهى طلبي يا مفتاح إيماني
يا كلي كلي ويا سمعي ويا بصري يا جملتي ويا تفصيلي وأجزائي
الشاعر يقول أي أنه يصير بعضاً منه أو جزءاً منه صغيراً وهذا الاستعمال غير موجود في اللغة وإنما يأخذ الحلاج قد اشتقه ومن ثم غيره المعطوفة جعل في هذا السياق المتدارك والمعروف ويأخذ الجزئي مع جزئه.

يا كل كلي وأهل حليته وكل كلك ملتبس ومعناي
ونلاحظ أن في هذا البيت يأتي التكرار تكرار لفظي أو كلمة بعينها ومن الملاحظ أن الحلاج استمر تكرار كلمة (كل) وهذا المعروف أن كل تفيد العموم والشمول.

يا من علقت به روحي فقد تلفت وجداً فصرت رهيناً لأهوائي
وهنا من الملاحظ في هذا البيت كيف يتحدث عن ثلاثة موضوعات رئيسية هامة مؤثرة في الخطاب الشعري وهي
① علقت ② وجداً ③ أهوائي
واستخدام كلمة أهوائي لم تجد داخل عشق الأهواء من الشوق وكذلك الوجدان هو الشوق ولكن عندما يزيد الشوق يطلق عليه الوجدان أي الشوق العاصف الذي يؤدي إلى الهلاك والموت.

ابن عربي سجين مدرسته وهائم
هو عشاق وسيدي بالبوح اعتداد.
وهنا سندخل في مشاكل عديدة لتناول بعض من لا يستطيع الانغماس قراءة
جيدة لشعر التصوف والوجد بين المتصوفة هو حب الإنسانة لذلك
المتصوف نجد أن له أضداد لا تتعدد إلا عندها نجدها تتحول وكأنه
الروح تغادر جسده أي أن الروح تفارق جسده وهنا نشير إلى تشويه
الإنسان العادي وكأنه يحتقر وصنف منحرف بالموت الكتابي شيء
هذه المعيد متعلق لنسبة لغوية من سنه جدا ومحددة نسبية فهو
يتكون على حالة كاتب الشعر
وفي الشعر الحر نجد أهم علامات حب لا بد أن نتطرق لثلاثة
موضوعات رئيسية وهم الحبيب والمحبوبة والرسول أو
الغزل أو الرحيل وكذا أن المدارس المتصوفة هم شعر وشعر وتحاشاه والجدال الرمزي
يتعدد ويكمل بسعيد هنا عبثا سائد وليس سبب السعادة
لكن المتصوف تغلغل في داخله أربعاء والشعر وكلما يتاح له الإنسان
العادي فهو لا يكون منه ولكن المتصوف يكون على شيء آخر

*ادونيس فيه خوف متعلق
شعر في الصمغ تكون اهتمات
فهذه الأفكار صوفية ~~صوفية~~ ودينية أيضا لا تتخلل الصوفي إلا
الإنسان العادي ونحن نعلم قصة سيدنا موسى عليه السلام
ومحاولة تقربه منه فكان الصوفي يريد أن يصل كذلك
لكن وجده خوفا للذات الإلهية وخوفه من تحمل الشمس في ظلها
الجاذ.

*تكتب أصلح في كل قلبه
هولاي قد حل ما مستهم اضداد
والحب هو الحب هو من تم أن من صفاتهم شعر التصوف
الشاعر الإلهي وما الجن في صرح

* قالوا بداو لـ يـه قتلت لهم
يا قوم هل يتداوى الداء بالداء
ومن الملاحظ هنا ان الانسان يداوي جرح الحب والانسه
هنا تعرضه الـ هه وتعاملت سابقت في استعمال الخط
الداء وكان عليه ان يحول الدواء وكأنه طفل صغير
لا يعرف اللغة جيداً وتؤدي ـــــ السخرية الى نقل وعدالصعوبة
استعمال الرمز